أرواح وأشبـــاح

للأســـتاذ خليل هنداوى

لقد صدق حدسى ! وها هى برهة تمر كرجع الطرف تزورنا فيها مواكب جديدة لهذا الشاعر المبدع من « أرواحه وأشباحه » والحق أن هذه القصيدة الجديدة تعد بذاتها فاتحة « للشعر العربى الحديث » الذى آن له أن يخلع تلك الثياب الرثة التى بالغنا فى ترقيعها وتزويقها ، حتى نصلت صبغتها ، وبليت جدتها ! ومما يزيد فى قيمة هذه القصيدة أنها أول قصيدة تلدها مصر من الشعر الصحيح ، ولا نستطيع القول أنها مبتكرة بأسلوبها وغرضها ، لأن بعض السوريين سبقوا إلى هذا النوع من القصائد الواحدة التى يختلف وزنها وقافيتها ، ويبقى غرضها واحداً . وأعرف من هـذه القصائد (المواكب) لجبران خليل جبران ، و (بساط الريح) لفوزى المعلوف ، وعبقر (لشفيق المعلوف) و (إرم ذات العماد) لنسيب عريضة ، ولـكن قصيدة شاعرنا (الملاح التائه) قصيدة وحدها بميزاتها وغايتها ، لأن صاحبها اتجه بها شطر الفن الخالص ، وجردها من أى غرض يرمى بها إلى الابتذال ، اعتقاداً منه بنظرية « الفن الخالص للفن الخالص » بينما نجد قصيدة « المواكب » تزحف فى جو ثقيل مرهق بالفلسفة الشاكة الحائرة ، وقصيدة (على بساط الريح) ترمى إلى غرض فلسفى آخرى توجهه العاطفة ، وقصيدة « عبقر » تكاد تكون أكثر تجرداً للفن ؛ أما قصيدة (إرم ذات العماد) فهى أشواق صوفية هائمة على رمال الوجد والحنين . وأصحاب هـذه القصائد جميعها ثائرون على ماضى الشعر العربى وأسلوبه الضيق الموروث ، ولذلك تجردوا من قوالبه ، وانطلقوا من غاياته ، وانقادوا إلى عوالمهم الذاتية المجردة ، ولـكل غايات استقبلها وبلغها بمقدار ما هامت نفسه ، وسما فنه . ولعل أبرز ما فى « هذه القصائد » هـذه الوحدة فى الغاية ، تنطلق معها من فاتحتها إلى خاتمتها . وإنا لنجد هذا النوع غريباً فى أدبنا ، لأن الأدب العربى لم يسجل مثله ، فى حين أن الآداب الغربية طافحة بهذا النوع الذى يدل على امتداد الفن ، وبعد الغرض ، وسمو التحليق . وهنالك دواوين قائمة بنفسها لتوحى إليك بفكرة واحدة ، على طرائق مختلفة ، كهذا الذى فعله الشاعر الفرنسى ـ فرناند جريك ـ فى ديوانه جمال الحياة ، فجمال الحيـاة فـكرة تفاؤلية تسيطر على نفس الشاعر ، والشاعر فى كل مظهر من مظاهر الـكون يتوسم هذا الجمال ، ويتغنى به ، ومهما يكن من شىء ، فإن هذا يدلنا على أن الشاعر الحقيق يعتنق رسالة أو فـكرة يجمعها من مزاجه الخاص يحاول أن يبثها ويبشر بها

* * *

كانت هذه القصيدة بيدى فتناولها صديق لى أديب فما لبث أن أبدى نفوره منها واستنكاره لهذا الضرب من الشعر لأنه خالٍ — بحسب اعتقاده — من الغاية والغرض ؛ وما كنت بلوّام لمثل هذا الصديق على اعتقاده ، لأن المدرسة الشعرية العتيقة لا تزال على اعتقادها فى أن الشعر خاضع للغاية ينزع إلى الحـكمة أو إلى القومية ، أو ... أما هذه القصيدة فما نزعتها ؟ وما غايتها ؟ إننا نحب أن نعتق شعرنا من هذه التقاليد ، ونرفعه من هذه الأغراض الدانية ، لنتوجه به شطر الفن الخالص . إذ أن الشعر العالى لا يتجلى فى هذه العواطف الصافرة التى تؤز فوق الرؤوس ، ولا فى هذه الأصباغ الـكثيفة غير المتناسقة ؛ وإنما الشعر هذه اللمحات الفنية الهادئة والرعشات الوديعة التى تذكرك برعشة الطبيعة حين يقظتها . ومن عجب الدهر أننا نتخطى تعاليم المدرسة القديمة ، ونلمس نقائصها ، وننفى أكثر شعرها ، ثم نرى من لا يزال يتحمس لها ، ويناضل من أجلها

الآن نستطيع القول — إزاء هذه المقطوعة — أننا إزاء قصيدة شـعرية بلغت من السمو والفن والدقة ما لم تعرفه قصيدة عربية من قبل . ولـكى يستطيع الشاعر أن يبث لمحاته الفنية لم يجد إلا جوًّا يونانيًّا . والعلة فى ذلك أن الجو العربى نفسه محدود الشاعرية ، محصور الخيال ، ليس فيه هذه الوثبات التى توحى للشاعر المطلق أن يحلق فى جو مطلق ، فليس فى هذا الالتجاء نفسه ما يعيب الشاعر أو القصيدة ، لأن الجو اليونانى — فى اعتقادى — برىء من كل غرض ، يملكه الفن وحده .

ولا يجد الأدباء الغربيون حرجاً في الرجوع إلى هذه المملكة الغنية بشوارد الفن ، على رسوخهم وغناهم . ولأدبائنا الحق في تفهم الأدب اليوناني والفن اليوناني . بعد أن درس العقل العربي العقل اليوناني ، كانت بينهما صلات متينة ، وجولات مشبعة بروح الصداقة . والفن اليوناني - على اعتقادي — أشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية

أشخاص هذه القطعة أشخاص يونانيون لهم محلهم في الفن اليوناني والجمال اليوناني . وقد أحسن المؤلف صنعاً في الإعلان عن كل شخص في مقدمته . ومن هؤلاء « سافو » الشاعرة الإغريقية ، وتايس الراقصة الأثينية ، وبلتيس صاحبة الشاعر الإفرنسي « بير لويس » . أما الحديث فيدور حول روح شاعر يبعث بعثاً جديداً يزف إلى الأرض كالشبح العابر . أو الوهم مثله الخاطر . تعرفه إحدى الحوريات أو الأرواح — تايس — وتقول لسافو إنه (فتى تملأ ألحانه الأرض غداً) . وبلتيس يؤلمها أن يمر متكبراً ، وقد أصابته لوثة أهل الفنون فليمض شقياً ! أما تايس فهي أكثر إشفاقاً عليه . لا تلومه لأنه (كف عينيه برق الحياة) فتحاول بيليس أن تثير حقد صاحبتها فتذكر لها ما صنع أترابه الشعراء من قبل يوم أغووا حواء ولذات حواء . والمرأة — دائماً — حديث الفن !

أنالته أجل أزهارها ، فأهدى لها شر أزهاره !

ولعل هذه الأزهار تذكرنا بأزهار بودلير !

وهنا تستشهد بيلتيس بقصيدة (الحية الخالدة) التي قدم لها صديقنا الأستاذ الكيالي بأن المرأة هي الحية الخالدة التي يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها . وفي هذه القصيدة يهبط الشاعر بمعشوقته من المنزلة العالية التي تصورها فيها إلى المنزلة الدانية التي تضج بها الشهوة الجائعة ؛ وتصبح فيه المرأة كتلة من لحم يثير الدماء ، بعد أن كانت جمالاً صور من نقاء — فانحدرت المرأة وانحدر بانحدارها الرجل لأنه أصبح شيئاً ككل الرجال ، وأصبحت هي شيئاً كسكل النساء.

أما بيليتس فلا تحب أن تعتقد بخطيئة المرأة ؛ لأن الرجال ...

وكم في الرجال سعار الوحوش إذا لمسوا الجثة الدافئة ...

أما المرأة ... !

ألم ينسم الخلد من عطرها ألم يعبد الحسنَ في زهرها

ألم يقبس النور من فجرها ألم يسرق الفن من سحرها

شفت غلة الفن حتى ارتوى وإن دنس الفن من طهرها

وهامت على ظمأ روحها وكم ملأوا الكأس من خمرها

والمرأة تبقى بعد هذا أحجية الفن .

« خطيئتها قصة الملهمين » « وإغراؤها الفرح المفتقد »

لقد قربت جسداً عاريا وقلباً يضن بأسراره

ثم تنتقل هذه الغواني من حديث الشعر إلى الفن الممثل في — تمثال جميل — فلا تجد سافو الفنان أعلى روحاً من الشاعر لأنه كمثله .

غداً يستغل غرام الحسان سبيلاً إلى الشهرة الدائمة

يصيب بهن خلود اسمه وهن قرابينه الضائعة

ولكن بيليتس تريد أن تنتقم لنفسها ولأترابها ، وتطلب النزول إلى الأرض .

لنشرب من دم هذا الفتى مصفى الرحيق بأكوابنا

ونجعل من حشرجات الرجال تحية شاد لأنخابنا

ولكن تايس تدرك أن الجمال والحب يضيع عالمهما بدون الشعراء والفنانين فتقول :

إذا خلت الأرض من طيرهم فمن ذا يحيي الجمال القسيم ؟

فتغضب بيليتس وتعود إلى حبها المعروف ، كما أوحته (أغاني بيليتس)[1] ، هذا الحب الذي ليس به حاجة للرجال !!

وهنا تستمر المشادة بين تايس وبيليتس ، هذه تميل إلى كل هوى بين اثنين ، وتلك تمثل هوى المرأة المتعلق بالرجل ، وترى هذا الهوى ضرورة لا مناص منها لحياة الفنون . والجمال وحده هو الذي يهذب قلب الرجل ، وينيم فيه الشرس المستخف !

وبعد محاورة تختلف ألحانها بين هؤلاء ، يعود الإلـه — هرميس — الذي ترك الشاعر على أفق الأرض ، فيرى حورياته

(١) راجع هذه الأغاني في مجلة الصباح الدمشقية مترجمة بقلم الكاتب

فى غضب وثورة ، فيصف لهن هـذا الفنان الذى ساء أمره عندهن ، وفى وصفه هذا أروع ما وصل إليه فنان وهو يتحدث عن الفن ...

الفنان عنده ...

يسف إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلى قمة لا ترام
ويُسقى بكأس إلهية مرنقة بالهوى والأنام

* * *

هو المرح الشارد المستهام شرود الفراشة عند المساء

ولعلك تلمس مى هذه القطعة المزدحمة باللمحة الفنية التى تظن أنها لا تنزل إلا على الشعراء الملهمين

أرته السماء أعاجيبها وروته من كل فن بديع
فضن بالألاء هـذا الجمال وخاف على كنزه أن يضيع
أبى أن يبدده ناظراه فأطبق جفنيه ما يستطيع
فإن شارف الأرض نادت به ففتح عيناً كعين الربيع

أتستطيع أن تحدد لى عين الربيع هـذه ؟ ألست مى هذه الدنيا من الرفيف والألوان والأعاجيب ؟

ولا يزال — هرميس — يصف لحورياته هذا الفنان حتى يستل من أفئدتهن كل سخيمة ويعدن راضيات عنه ، مؤنسات بفنه ، مغضيات عن عثراته . لأن عثرات الفنان بشائر للفن ، والفنان نفسه يعبد المرأة — على ما تحمله إليه — لأنه كما يقول :

وكانت حياتى محض اتباع فصارت طرائف من فنها
وكان شبابى صمت القفار ورجع الهواتف من جنها
فعادت ليالى الصبا والهوى أرق المقاطع فى لحنها
وأفرغت بؤسى فى حضنها وأترعت كأسى من دنها

وهكذا تنتهى القطعة برحيل الشاعر ، بعد أن ترك فى حورياته نظرات العطف والابتسام

هذه هى القصيدة التى أهداها الشاعر خالصة لوجه الفن ، سلسة التعبير ، لينة القوافى ، هائمة الألوان ، ولن يغنى عن قراءتها شىء من هذا الموجز المشوه الذى ذكرته ، لأن القطعة الفنية لا تنقل

والذين يتذوقون الشعر المجرد ، ويحبون الفن المجرد ، سيستمعون فى هذه القطعة خير لحن يجاوب ألحانهم ، ويتذوقون منها أصفى سلسال يروى ظمأهم

حقاً إن هذه القصيدة طليعة تلك المواكب الجديدة الهائمة فى تيه المرح والعذاب والحب ، وستتلو هذه الأرواح أرواح ، وهذه الأشباح أشباح ، ما دامت هنالك قيثارة صافية النغم ، ومخيلة مجردة الخيال ، هى قيثارة ومخيلة ملاحنا التائه.

(حلب) — [الحديث] **خليل هنداوى**

وزارة المواصلات

مصلحة الموانى والمنائر

إعلان

تطرح مصلحة الموانى والمنائر للبيع صفقة واحدة بموجب عطاءات حوالى ١٥٠ طن حديد مقاسات مختلفة متخلفة من الخراسانة المسلحة الناتجة من هدم مخزن شركة الاستيداع حرف F على رصيف ٤١ بميناء اسكندرية بموجب شروط البيع التى يمكن الحصول عليها مجانا من إدارة المصلحة المذكورة بالترسانة باسكندرية فى مواعيد الأعمال الرسمية .

وتقدم العطاءات داخل مظاريف مغلقة برسم سعادة مدير عام المصلحة بحيث تصل ظهر يوم الخميس ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٢ على الأكثر . وللمصلحة الحق فى إلغاء المزايدة دون إبداء الأسباب .

٩٧٤٣